

## فرانسيس فوكوياما والتأسيس الفيلو-بوليتيك لنهاية التاريخ

العاقب سفيان

طالب دكتوراه / جامعة وهران 02

مقدمة:

شهدت الانسانية في العصر الحديث تحولات بارزة في حياتها الفكرية والثقافية والعلمية، ومن ثمة شملت باقي مجالات الحياة، فالحيات السياسية والاقتصادية والاجتماعية عامة، وكانت تلك التحولات قد مست بقوة مجال العمل من حيث وسائله، ومناهجه في التأثير على الطبيعة. وفي إستخراج الطاقة وتحويلها من صورة غير نافعة إلى أخرى نافعة، من منطلق تسخير الطبيعة والطاقة لخدمة مصالح الإنسان وتحقيق أغراضه، وكان للانفجار العلمي والثورة الصناعية ومن وراء ذلك الإصلاح الديني والسياسي والتربوي الداعي الى تحرير العقل والإنسان الفرد والمجتمع من كل ما يعيق السير نحو التقدم والازدهار الدور الكبير في تفجير التكنولوجيا، وهو ما تميزت به الحياة عامة في الغرب الأوربي الحديث في الشرق الإطلنطي وفي الولايات المتحدة الأمريكية في غربه إن تخطي الغرب الأوربي الحديث أزمات ونكسات العصور الوسطى وإملاكه لشروط النهضة، وأسباب القوة والتقدم جعله يبني حضارة قوية، تقوم على أساس الحية والعلم والتكنولوجيا هذه الحضارة مكنته من الوصول الى درجة عالية من الازدهار في المجال الاقتصادي والرفاهية المادية، ذلك لكثرة الإنتاج الصناعي وتنوعه، وازدهار حركة التسويق والتجارة، وكان ذلك بفعل تطور وسائل النقل والاتصال، الحالة الجديدة التي عرفتها شعوب أوربا الحديثة، وكذا شعوب الولايات المتحدة الأمريكية، غيرت مجرى ومسار شعوب العالم برمته، بفعل انتقال منتجات الحضارة الغربية الفكرية والعلمية والتكنولوجيا وغيرها إلى تلك الشعوب مع حرص الغرب على ذلك، ولكن في خضم النماء الاقتصادي والازدهار العلمي والتكنولوجي الغربي، تنامت الكثير من التحولات والتوجهات، وارتبطت بالوعي التاريخي وبظروفه الفكرية والمادية، ومن أبرز

هذه التحولات توجه العولمة ، التي إرتبط بمفاهيم عدة قام عليها الفكر الغربي الحديث ، مثل الحرية و العقلانية و الليبرالية و العلمية ، العلمانية و الحداثة والتحديث وغيرها هذه المفاهيم في إطار الظروف التاريخية للغرب الحديث ومصالحه قامت بأدلجة العولمة ، حيث نشأت ونمت الظاهرة وأصبحت موضوعا يشغل الجميع ، يشغل الغرب الذي يسعى الى بسط سلطانه ونفوذه على العالم بقوته وحضارته المركزية ، ومن دون منافس ويشغل الجهات الأخرى من العالم لحاجتها إلى التنمية وهي تفتقر إلى شروطها و توجد في الأطراف خارج المركز والعولمة فلسفتها وإيديولوجياتها ومنظورها للدفاع عنها وفرض هيمنتها ، لكن العولمة بهذه الفلسفة وبممارساتها بلغت من التطرف الأيديولوجي الليبرالي ومن الاستبداد السياسي ، ومن الفساد الاقتصادي وغيرها فاجعلها في قفص الاتهام ، وفي ظل هذه التغيرات والتحولات التي عرفتها ساحة أوروبا الغربية وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية بزغ على المشهد الثقافي والسياسي البعض من رواد الفكر الفلسفي و السياسي على شاكلة "ريتشارد رورتي" و"وصامويل هيتينجتون" و"فرانسيس فوكوياما" هذا الأخير الذي يعد نموذجا لبحثنا هذا.

### فوكوياما من الفلسفة إلى السياسة

يعتبر " فرانسيس فوكاياما" Francis Fukuyama " عالم سياسة واقتصاد سياسي ومؤلف وأستاذ جامعي أميركي، اشتهر بكتابه "نهاية التاريخ والإنسان الأخير" الصادر عام 1992م، والذي جادل فيه بأن انتشار الديمقراطيات الليبرالية والرأسمالية والسوق الحرة في أنحاء العالم ، قد يشير إلى نقطة النهاية للتطور الإجتماعي والثقافي والسياسي للإنسان. وارتبط اسم فوكوياما بالمحافظين الجدد، ولكنه أبعده نفسه عنهم في فترات لاحقة<sup>(1)</sup>

ولد يوشيرو فرانسيس فوكوياما في حي هايد بارك بمدينة شيكاغو في 27 أكتوبر 1952 م لكل من يوشيو فوكوياما وتوشيكو كواتا. هرب جد فوكوياما من الحرب الروسية اليابانية عام 1905 م وافتتح متجراً في لوس أنجلوس كاليفورنيا قبل الاعتقال الادراي للأميركيين اليابانيين خلال الحرب العالمية الثانية. والده كان أوفر حظاً من جده وتفادى الاعتقال لأنه حصل على بعثة دراسية في جامعة نبراسكا. هذه التجربة التي مرت بها عائلة فوكوياما جعلته ناقداً للإسلاموفوبيا.<sup>(2)</sup>

<sup>1-</sup> Robert Boynton "Francis Fukuyama: The Neocon Who Isn't". *Robert Boynton* .May 16 2015.

<sup>2-</sup> Stephen Moss (2011)".(Francis Fukuyama: 'Americans are not very good at nation-building'". *The Guardian* .May 16 2015 .

يقصد فوكوياما بنهاية التاريخ كإتجاه وليس كأحداث ، الديمقراطية الليبرالية هي تنويع التطور الأيديولوجي للإنسان، وعدم وجود بديل غير بربري وخطير يعني ان الحجج الأيديولوجيا للأخرين لاترقى لمقارعة الديمقراطية الليبرالية ، وبمعنى ادق يمثل هذا المؤلف النظري الأيديولوجي و السياسي للنظام العالمي الجديد ولنوجه العولمة في عصرنا ، وينطوي على الخلفية النظرية الفلسفية التي تستند اليها ايديولوجيا العولمة و سياستها الليبرالية في الإقتصاد و في ممارسة السلطة و الحكم في الحياة الإجتماعية الفكرية و الثقافية عامة، و لم يكن الكتاب ذا طابع علمي يهد الى تعميق البحث و الدراسة الإنسانية و الإجتماعية انطلاقا من الواقع الإنساني الحضاري في العالم المعاصر بقدر ماكان بيانا نظريا و خطابيا سياسيا وايديولوجيا، الهدف منه تبرير توجه العولمة و تمرير فرض النظام العالمي الجديد الذي تسعى القوة المهيمنة الى فرضه على العالم أجمع ، و مادام اليسار الأيديولوجي كان ومازال يقف في وجه هذه الأطروحة السياسية الممثلة في الرأسمالية والديمقراطية فإنه يعتبر الوأسمالية الموحشة هي التي أنجبت العولمة و ماترتب عنها من تداعيات خطيرة على حياة الإنسان ، هذا على الرغم من التحولات الكبرى السياسية والإقتصادية التي عرفتها الساحة الدولية ، ومنه توجه دول المعسكر الشرقي صوب الديمقراطية واقتصاد السوق والتعاطي بإجابية مع العولمة والنظام العالمي الجديد و في الإتجاه المعاكس ينطلق المفكر "فوكوياما" في صياغة رؤية سياسية و إيديولوجية ذات أبعاد فلسفية تحدد مشروعية مرتكزات المرحلة التاريخية الراهنة ومحدداتها وموجهاتها، المرحلة التي تتسم بسيطرة منتجات النهضة الأوروبية الحديثة و المتمثلة في التقدم العلمي والتكنولوجي الهائل في الرأسمالية و الديمقراطية ، وفيما أفرزته الحرب العالمية الأولى والثانية وفي عجز اليسار في الإستمرار، إن رؤية :فوكوياما" على كون الديمقراطية الليبرالية هي "نهاية التارخ" الذي يتحرك ليس بفعل العنف بل بدافع الرغبة الشديدة للإعتراف ، هذا المحرك الأساسي للتاريخ يُعرف في الرؤية "بالتيموس" ونجاح الديمقراطية الليبرالية يتم بالتقدم العلمي والتكنولوجيا وينبغي التأسيس للعلم و التكنولوجيا في المجتمع لبناء الديمقراطية الليبرالية في الحياة السياسية والإقتصادية فيمنهض المجتمع بمشاركة الشعوب الفعلية

ان الصورة الحقيقة التي تعكس الخلفية الفكرية والسياسية للمفكر الامريكي " فرانسيس فوكوياما" ، تتضح معالمها من مؤلفاته وبخاصة اطرو حته "نهاية التاريخ و الإنسان الأخير" التي نشرها في مجلة "ناشيونال أفيرز" سنة 1989م ، قبل يتوسع فيها ويؤلف الكتاب، من ابرز اطروحاته والتي ارأى من خلالها بأن تطور التاريخ البشري كصراع بين الأيديولوجيات قد انتهى الى حد كبير

، مع استقرار العالم على الديمقراطية بعد الحرب الباردة ، و سقوط جدار بارلين سنة 1989م ، وتوقعه لإنصار الليبرالية السياسية والإقتصادية.

لكن مانشده ليس مجرد نهاية الحرب الباردة ، ولكن نهاية التاريخ على هذا النحو . هذه نقطة النهاية التطور الأيديولوجي للبشرية وبأية عولمة الديمقراطية الليبرالية كشكل النهائي للحكومة الإنسانية.

يعيب "فوكوياما" على بعض البلدان غير الديمقراطية التي استوردت التكنولوجيا من دون إنتاجها قائلاً: " العيب الوحيد البارز هو منطقة الشرق الأوسط التي ليست فيها أيضاً ديمقراطيات مستقرة ، بينما تحتوي عدد كبيراً من الدول حيث المداخل الفردية تصل إلى المستويات الأوروبية أو الآسيوية ولكن النفط يفسر كل شيء ، فالمداخل النفطية سمحت لدول مثل العربية السعودية و العراق وإيران والإمارات العربية المتحدة أن تُحصل الدلائل الخارجية للحدثة . سيارات ، فيديوهات ، طائرات حربية من طراز ميراج دون أن تتلقى مجتمعاتها التحولات الاجتماعية الضرورية لبناء ونحت هذه الثورة"<sup>(3)</sup>

إن هذه الرؤية تعبر عن قراءة للتاريخ والمجتمع والفكر في الغرب الأوربي وفي الولايات المتحدة الأمريكية ، وهي سلاح فكري فلسفي إيديولوجي إلى جانب القوة الاقتصادية والعسكرية للدفاع عن الوضع الذي تجسده العولمة وتعممه في العالم أجمع ، من صور الدفاع عن العولمة ما جاء على لسان فوكوياما : "كلما اقتربت الإنسانية من نهاية الألف الثالثة فإنه يُلا حظ أن الأزميتين المزدوجتين للتسلطية والاشتراكية لم تتركاً في ساحة المعركة إلا إيديولوجيا واحدة محتملة ذات طابع شمولي ، هي الديمقراطية الليبرالية ، عقيدة الحرية الفردية والسيادة الشعبية فبعد مائتي سنة من إطلاقها للثورتين الأمريكية والفرنسية ، برهنت مبادئ الحية والمساواة ليس فقط أنها دائمة ، بل أيضاً أنها تستطيع أن تنبعث من جديد"<sup>(4)</sup> . وبعد مرور عقد من الزمن على نظرية "فوكوياما" في كتابه "نهاية التاريخ والإنسان الأخير" يكتب مقالا صدر عام 1999م عنوانه "عشر سنين على نهاية التاريخ" يطرح فيه أطروحته السابقة ويؤكد عليها ، فيقول: لا شيء مما طرأ على السياسة العالمية أو الاقتصاد الكوني مدة عشر سنوات الأخيرة يشك في صحة ما انتهت إليه ألا

<sup>3</sup> - فيصل عباس ، العولمة والعنف المعاصر ، جدلية الحق والقوة ، ص.290

<sup>4</sup> . فرانسيس فوكوياما ، نهاية التاريخ والإنسان الأخير ، ترجمة فؤاد شهين ، ص.68

وهو أن الديمقراطية الليبرالية واقتصاد السوق المنقذان للوجود بالنسبة الى المجتمعات الحديثة  
".<sup>(5)</sup>

إن فلسفة "نهاية التاريخ" لدى المفكر الأمريكي فوكوياما تعتمد على فلسفة هيغل ومنظورها الجدلي، لهدف رئيسي هو الدفاع عن الديمقراطية الليبرالية من منطلق تقدير الذات و الرغبة الشديدة في الاعتراف "التي موس" وتفضيل الحكم الديمقراطي و التحرك في النضال ضد كل أشكال الهيمنة والتسلط و الاستبداد، و الوقوف امام كل من يعيق تنفيذ الطموح صوب الديمقراطية الليبرالية وإذا كانت الجدلية الهيكلية على مستوى الفكر والمثال هي محرك التاريخ في اتجاه صياغة مكتملة تاريخية تتجاوز ماخلفته الحداثة من مساوى في الفكر و الممارسة، ولايتحقق اكتمال العقل و الروح السياسي والفلسفي والديني في التاريخ إلا باسلوب ينتهي بالوعي الى المطلق المتعين في الزمان وفي المكان والمتمثل في نظام الدولة المكتمل الإنسجام، "ومن الواضح أن هيغل يصف بجلاء نموذج الدولة الصناعية الغربية الحديثة، وإن كان تأثره بالنموذج النابليوني معروف، ويمكن ثم كانت الإنتقادات العديدة التي وجهت له باتهامه بالتنظير للدولة الكليانية.. فلإمكننا إلا أن نقر بأنه وفق في ضبط طبيعة الدولة الغربية الحديثة، التي وان كانت أول دولة أعلنت حرية الإرادة مبدأ تتأسس عليه الحركة الإجتماعية و السياسية، فإنها في الآن نفسه أكثر دولة سلطوية في التاريخ، وأبعدها تدخلا في قولبة أنماط المعرفة والسلوك الفردي والجماعي، إن ما يمكن دون تردد، إن هيغل كان أعمق نظرا وأكثر واقعية من تلميذه ماركس، الذي تنبأ بإنهيار التناقض الطبقي وإنتفاء شكل الدولة، بينما اكتفى فيلسوف المثالية الجدلية بضبط حركة الوقائع، وقدمها في قالب نسقي تحكمه غائية العقل المطلق في مسار تجسده التاريخي"<sup>6</sup>. لقد تأثر فوكوياما بفلسفة التاريخ لدى هيغل التي تتميز بالمتانة الفكرية وبالصلابة في المفاهيم، ولم تقف هذه المتانة والقوة في فلسفة التاريخ الهيكلية في وجه الإنحراف بها في نهاية التاريخ نحو كونها مجرد ايدولوجيا تحمي الدولة الديمقراطية الليبرالية الغربية الحديثة، لذا يعتبر العديد من المفكرين أطروحة نهاية التاريخ وما تنطوي عليه ليس بضمير الجديد فهي "لاتقدم رؤية جديدة، أو مفاتيح معقولة لحقبة انفصمت فيها الدلالة عن الحدث، وإنما هي أثر لأزمة نظرية متفاقمة، تحيل في ما وراء مقصده. فوكوياما. إلى أزمة انسداد آفاق المعقولة التي تنبع في سياق الحداثة من محددات

<sup>5</sup> .فرانسيس فوكوياما، مقالة: عشر سنين على نهاية التاريخ، ترجمة المنصف الشنوني، دار الثقافة العربية، المجلس

الوطني الكويت، سنة 2002

<sup>6</sup> . السيد ولد آباه، اتجاهات العولمة، ص 150.

الإنسانية النظرية (الذات المفكرة) و المقاييس الموضوعية في وصف الظاهرة (العلم التجريبي) والتاريخانية الغائبة (مقولة التقدم). ولذا فان نهاية التاريخ لانفصم عن موت الإنسان الذي أعلنه " ميشال فوكو" (أي تقويض مقولة الوعي في علاقة تمثله المباشر لموضعه)، كما لاتنفصل عن " موت التجريبية الوضعية" التي أبرزت لمقاييس الإستمولوجية زيفها وعمقها ، ولا تنفصل كذلك عن انتكاسة التصورات التاريخية التي قامت على أنقاضها المناهج الجديدة في كتابة التاريخ وقراءته "(7) .

لم يأبه "فوكوياما" بالتحويلات المتسارعة في العالم في ظل العولمة و النظام العالمي وما سببته الأزمات على المستوى الإقتصادي و المالي ، ليس في العالم المتخلف فحسب بل امتدى تأثيرها الى البلدان المتقدمة وعلى رأسها الولايات المتحدة ، مما يطعن في مقولة نهاية التاريخ وهو الموقف الذي يرى البعض صيه الكثير من الطرافة ، إن فوكوياما في "مقالته الأخيرة التي نشرها بصحيفة "لوس أنجلس تايمز" بادر بالتأكيد إلى "إنني لا أرى فيما حدث في عالم السيادة الدولية ، وفي الإقتصاد العالمي خلال السنوات العشر الأخيرة أي شيء يتعارض حسب وجهة نظري مع الإستنتاج القائل إن الديمقراطية المتحررة والنظام الإقتصادي الذي يتحكم في السوق هما البديل الوحيد النافع للمجتمعات الحديثة". وفي هذا السياق لاينظر الى غلى الأزمات التي عصفت باقتصاديات البلدان الآسيوية وروسيا، ولاتراجع الديمقراطية ، وانتشار الحروب الأهلية في مناطق شتى من العالم ، شواهد تفند نظريته ، وإنما يرى ان اتجاه العولمة (بالمنظورالراسمالي الغربي) قد تجذر وتوطد ، لسببين اساسين: هما من جهة غياب نموذج تنموي بديل ، وآثارالثورة التقنية للمعلومات من جهة اخرى "(8)

فوكوياما كغيره من المفكرين الغربيين المعاصرين اطار العقل و الحركة في المجتمعات الغربية ومجتمع الولايات المتحدة الأمريكية فيه يكون الزمن مليء بالإيجابية في الفكر والممارسة في حياة الناس ، الإيجابية التي يصنعها العلم وتبنيها الثورة التقنية ، باعتبار العلم هو محرك التاريخ وليس حركة متطلبات الإقتصاد و السياسة والإجتماع البشري، والثورة العلمية التكنولوجية في مجال البيولوجيا ت كفيلا بضمنان التغير الكيفي للعنصر البشري ، وهو ما لم تقدر عليه الإيديولوجيا الشيوعية ، يستمد فوكوياما خلفيته "النظرية لنموذجه المعدل من "الإيديولوجية العلمية" ولذا لم يكن من المستغرب أن يستند الى نتائج البيولوجيا التي تشهد تطورات مذهلة ،

<sup>7</sup> فيصل عباس ، مرجع سابق ، ص.293

<sup>8</sup> . السيد ولد آباه ، اتجاهات العولمة ، مرجع سابق ، ص.29.

منذ أن بدأت تطورات تقنيات التصرف في الجينات "، ووصلت مرحلة الإستنساخ ، ولم يفقد فوكوياما نزعته التفاؤلية التي انبنت بدءاً على ايمانه باكتمال حركة التاريخ ، وغدت تتأسس على المراهنة على تطور العلم والتقنية وما ينجم عنها من تغير لشكل البشرية ذاتها التي ستنتهي ويحل محلها نموذج جديد من الإنسان ، وهو حصيلة انتفاء تتوفر فيه ميزات التفوق و السمو والكفاءة المطلوبة في العصر الجديد"<sup>(9)</sup>

أن ارتباط التطورات الكشفية و التجريبية و التقنية في العلوم البيولوجية بسائر مشكلات الإنسان أفرز نزاعات ايدولوجية عديدة قادها مفكرون وعلماء وساسة ، كانت متفقة في عمومها على تحكم العنصر العرقي الوراثي و الجيني في مصادر وأساليب ومنتجات التقدم والتحضر ، والأكثر مما تنتجه التطورات التقنية في البحوث العلمية البيولوجية في رأي فوكوياما، فلسفة ما بعد الحداثة قوضت الأيديولوجية المؤسسة للديمقراطية الليبرالية، وتركت العالم الغربي في موقف أضعف. حقيقة إنعدام عملية الماركسية والفاشية أمام الديمقراطية الليبرالية كانت سبباً كافياً للإحتفاء بالسلوك التفاؤلي في العصر التقدمي، لأن هذا الأمل في المستقبل هو ما جعل المجتمعات الغربية تكافح من أجل الحفاظ على القيم التقدمية.(10) فلسفة ما بعد الحداثة من ناحية أخرى، أصبحت جزئاً لا يتجزأ من الوعي الثقافي، لا تقدم أملاً ولا شيء يدعو للحفاظ على الشعور الضروري واللازم بهذا المجتمع والحفاظ على قيمه. رالف داندروف، عالم سياسة وعلم اجتماع ألماني قال عام 1990 أن فوكوياما حصل على 15 دقيقة من الشهرة بعد مقاله المثير للجدل،<sup>(10)</sup> ولكن فوكوياما تجاوز الـ"15 دقيقة من الشهرة" وأصبح يسمى بالـ"فيلسوف الملكي للرأسمالية المظفرة" وقال عنه عالم الاجتماع الإسرائيلي أميتاي إيتزوني<sup>(11)</sup>:

هو من بين قلائل من المثقفين المستمرين، هم في كثير من الأحيان مجرد نجوم إعلام يلتهمهم و يبصقهم بعد 15 دقيقة من الشهرة، لكنه استمر.

ولكن أحداث 11 من أيلول 2001 رفعت من رصيد أستاذه الأسبق صامويل هنتجتون الذي ألف كتاباً يرد فيها على أطروحة تغلب الديمقراطية الليبرالية ويقدم نظرية جديدة لصراعات عالم ما بعد الحرب الباردة. أحداث 11 سبتمبر جعلت فرانسيس فوكوياما يتراجع قليلاً ويصف ما يحدث

<sup>9</sup> .فرانسيس فوكوياما ،نهاية الإنسان ،عواقب الثورة التكنولوجية ، ت .د.احمد مستجير ،اصدارات سطور ، لبنان ، ط:1، 2002، ص.189.

<sup>10</sup> Dahrendorf (1990) *Reflections on the revolution in Europe* p. 37

<sup>11</sup> Wroe ،Nicholas (May 10, 2002). "History's Pallbearer". *The Guardian* .Guardian Media Group

بالـ"تحدي التحليلي"، مضيفاً بأنه لم يعرف ما هو هذا الذي يواجهونه بالضبط، "هذه مجموعة بيانات جديدة" على حد تعبيره.

قال لاحقاً بأن التطرف الإسلامي هو سلوك اللحظات الأخيرة لثقافة ستتطور مع مرور الوقت، لأن منفذي أحداث 11 سبتمبر لا يمثلون توجهها غالباً وسيواجهون التحدي في النهاية، و"التحدي سينتصر" الحداثة بالنسبة لفوكوياما قطار سريع لن يخرج عن مساره، الديمقراطية والأسواق الحرة تستمر في التوسع لتصبح المبادئ المنظمة والمسيطرة على الكثير من دول العالم. عدد المسلمين الذين يريدون الهجرة إلى الغرب والمشاركة في إنتخابات، يفوق عدد الذين يريدون تفجير كل شيء فيه. يضيف مقدراً موقف معارضيه :

هناك شيء بخصوص الإسلام، أو النسخ المتطرفة منه على الأقل التي أصبحت مهيمنة في السنوات الأخيرة، ما يجعل المجتمعات المسلمة مقاومة للتحديث. من بين جميع النظم الثقافية المعاصرة، الإسلام لديه أقل عدد من الديمقراطيات باستثناء تركيا، ولا يحتوي دولاً حققت انتقالاً من حالة الدول النامية إلى دول متقدمة مثلما فعلت كوريا الجنوبية وسنغافورة. الإسلام هو النظام الثقافي الوحيد الذي ينتج أشخاص يرفضون الحداثة بانتظام مثل أسامة بن لادن أو طالبان. وهو ما يثير التساؤل حول مدى تمثيل هؤلاء في المجتمع الإسلامي الأكبر، وما إذا كان هذا الرفض للحداثة متأصل في الدين الإسلامي بطريقة أو بأخرى. إذا كان الراضين للحداثة أكثر من مجرد جماعات هامشية متطرفة، يمكن القول أن هنتنغتون محق وأنا في صراع طويل أصبح خطيراً بحكم التمكين التكنولوجي. ثم يعقب بالقول :

من المنطقي أن نسأل ما إذا كان الإسلام السياسي يشكل بديلاً موضوعياً للديمقراطية الليبرالية، الإسلام الراديكالي ليس لديه أي شعبية في العالم المعاصر بصرف النظر عن أولئك الذين هم مسلمون ثقافياً من البداية" 14 بالنسبة للمسلمين أنفسهم ، أثبت الإسلام السياسي أنه أكثر جاذبية من الناحية النظرية مما هو عليه في الواقع. بعد 23 عاماً من حكم رجال الدين الأصوليين، معظم الإيرانيين وخاصة الشباب، يودون العيش في مجتمع أكثر تحراً بكثير. الأفغان الذين عانوا من حكم طالبان يشعرون بالأمر نفسه. الكراهية المعادية للولايات المتحدة لا تُترجم إلى برنامج سياسي قابل للحياة. نحن في نهاية التاريخ بسبب وجود نظام واحد سيستمر بالهيمنة على السياسة الدولية وهذا النظام هو الديمقراطية الليبرالية، الصراع الذي نواجهه هو ليس صراع بين ثقافات متساوية بين

بعضها البعض مثل القوى الأوروبية في القرن التاسع عشر، الصراع الحالي هو سلسلة من اجراءات آخر نفس لمجتمعات تعتبر وجودها التقليدي مهدد بالفعل بسبب التحديث

يرفض فوكوياما موقف بعض معارضيه بأن الراديكالية الإسلامية الراضية للتحديث متجذرة في المعتقد الإسلامي نفسه، ويسمي هذا الموقف بالـ"هنتجتوني" نسبة لصامويل هنتجتون.<sup>(12)</sup> فوكوياما لا يؤمن بوجود "الإستثناء الإسلامي" أمام منطق التحديث ويرى أنه وبرغم الاتحاد القديم بين الدولة والمسجد، ستكون هناك قوى دائمة تدعو لعدم تسييس الدين مثلما حدث في الغرب.<sup>(13)</sup> يؤيده في موقفه "سعد الدين إبراهيم"، الذي قال بأن المسلمين وعبر أربعة عشر قرناً، شهدوا ظهور عدة حركات سواء كانت متطرفة أو إصلاحية أو متمردة أو روحانية، أو تبشيرية فهم في هذه المسألة ليسوا مختلفين عن المسيحيين. ألمانيا مثلاً، شهدت العديد من الحركات المماثلة في القرنين السادس والسابع عشر، وهي فترة تحول اجتماعي واقتصادي عميق في التاريخ الألماني والأوروبي بشكل عام. في ذلك الوقت، عملية التحديث قد بدأت لتوها مع كل ما يصاحب ذلك من الاضطرابات الواسعة النطاق.<sup>(14)</sup> و يضيف "سعد الدين إبراهيم" أنه معجب بحساسية وذكاء تفنيد "فوكوياما" لأطروحة صامويل هنتجتون المعنونة صراع الحضارات.<sup>(15)</sup> نهاية التاريخ ليس باعتباره توقفا للأحداث، بل لعدم وجود نظام في المستقبل لما بعد الديمقراطية الحديثة والرأسمالية. الديمقراطية الليبرالية تتوافق في الأساس مع الطبيعة البشرية لأنها تستوفي الرغبات الطبيعية للثراء والاعتراف. بعد عقدين من الزمن على أطروحته وبدون تشكل مرحلة ما بعد الليبرالية والرأسمالية في الأفق تشخيصه الأساسي لا يزال سليماً.

وفي كتابه مستقبلنا بعد البشرية يجادل فوكوياما بأن التكنولوجيا الحيوية تسمح للبشر بسيطرة مباشرة على تطورها الطبيعي وقد تسمح بتعديل طبيعة الإنسان وهو ما يعرض الديمقراطية الليبرالية للخطر. وصف فوكوياما البعد إنسانية بأنها من أخطر الأفكار في

<sup>15</sup> Francis Fukuyama (2006). (The 'end of history' symposium: a response". *Open Democracy* .May 17 2015.

<sup>16</sup> Saad Eddin Ibrahim (2006)". (Politico-religious cults and the 'end of history'" . *Open Democracy* May 17 2015.

العالم.<sup>(16)</sup> نمت حركات تحررية كثيرة في العالم المتقدم من المدافعين عن الحقوق المدنية والحركات النسوية إلى المدافعين عن حقوق مثلي الجنس. ولكن هناك حركات غربية كما يصفهم فوكوياما، لا يريدون أقل من تحرير الجنس البشري من قيوده البيولوجية.<sup>(17)</sup> البعد إنسانية موجودة ضمناً في كثير من جداول أعمال البحوث البيولوجية المعاصرة. التكنولوجيات الجديدة الناشئة من مختبرات الأبحاث والمستشفيات سواء عقاقير تغيير المزاج مواد زيادة كتلة العضلات، عقاقير محو الذاكرة الانتقائية، الفحص الجيني قبل الولادة، يمكن بسهولة أن تستخدم لتعزيز القدرات البيولوجية للبشر وتخفيف حدة الأمراض. الجنس البشري هو جنس ضعيف في نهاية المطاف، أمراضه تتطور باستمرار، يعاني من القيود المادية، ويعيش حياة قصيرة والمحظوظ من يعيش إلى سن الـ 100. بالإضافة إلى الغيرة، العنف، والقلق المستمر، تبدو مشاريع البعد إنسانية منطقية وجذابة. ولكن فوكوياما لديه نظرة مختلفة ويجادل بأن المجتمعات قد لا تقع فريسة سهلة لنظرة دعاة بعد الإنسانية ولكنهم قد يقعون في شركها دون إدراك، نظراً للمغريات البيولوجية التي يقدمونها بثمن أخلاقي فادح.<sup>(18)</sup>

إن أول ضحايا البعد الإنسانية هي المساواة. يقول فوكوياما بأن الولايات المتحدة شقت طريقاً صعباً في هذا الجانب فأكثر الصراعات السياسية جدية في تاريخ أميركا كانت تتمحور حول من هو الذي يمكن إعتباره إنساناً. إعلان الاستقلال الأمريكي شدد أن "كل الناس خلقوا سواسية" ولكن مع ذلك، السود والنساء لم يعتبروا كذلك وفق تفسيرات معظم الأميركيين عام 1776.<sup>(19)</sup> الفكرة الكامنة وراء المساواة في الحقوق هو الاعتقاد بأن جميع البشر يمتلكون جوهر الإنسان الذي يقزم ويقلل من قيمة الاختلافات السطحية مثل لون البشرة، الجمال، وحتى مستوى الذكاء. هذا الجوهر الذي يفيد بأن لكل البشر قيمة متأصلة، هو قلب الليبرالية السياسية ولكن تعديل هذا الجوهر هو أساس مشروع بعد الإنسانية. إذا ما حاول الإنسان أن يجعل من نفسه أكثر تفوقاً بيولوجياً، تراود أسئلة عن نوعية الحقوق التي سيطالب بها هؤلاء البشر المتحولون مقارنة بالذين لم يحظوا بنفس الفرص ليجعلوا من أنفسهم بشراً خارقين. إضافة إلى الآثار المترتبة على المواطنين في دول فقيرة حيث عجائب التكنولوجيا الحيوية على الأرجح ستكون

17-Francis Fukuyama (2004). "Transhumanism". *Foreign Policy*. May 17, 2015

بعيداً عن تناول الناس، تهديد فكرة المساواة يصبح أكثر إزعاجاً من الدول المتقدمة. فالفكرة هي أن تكنولوجيا كهذه ستجعل من الأقوياء حالياً أقوى وتخلق طبقة اجتماعية تدعي لها حقوقاً أكثر إستناداً على تفوقها الجسماني أو الجيني.

يجادل فوكوياما بأن البشر هم أعجوبة منتجات معقدة لعملية تطورية طويلة، خصائصهم الجيدة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بتلك السيئة. العنف والعدوانية هما السبب وراء قدرة الإنسان على الدفاع عن نفسه. مشاعر الاحساس بالتفرد والتميز، هي الدافع وراء الاخلاص للمقربين. الغيرة هي الدافع الحقيقي خلف الحب. حتى الوفاة تلعب وظيفة هامة في السماح للجنس البشري ككل في البقاء والتكيف، فأخر ما يريده الناس هو دكتاتور يعيش طويلاً ولا يموت. تعديل أي من الخصائص الرئيسية لدى البشر يستلزم لا محالة تعديل حزمة معقدة ومترابطة من الصفات الانسانية، ولا يوجد أحد قادر على التنبؤ بالنتيجة النهائية لهكذا تعديلات بالنسبة لفوكوياما، لا يمكن الوثوق بعلماء البيولوجيا لأن هدفهم الرئيسي هو التغلب على الطبيعة وغالهم لا يهتم لأي إعتبرات أخلاقية، وهناك الأخلاقيون البيولوجيين وهدفهم الأساسي هو تبرير وتقديم المسوغات لكل ما يريد أن يقوم به العلماء.<sup>(20)</sup>

إن الجدل حول هذه القضية ليس حكراً على الجانب الذي تحدث عنه فوكوياما وهو الجانب السياسي فهناك جوانب أخرى ولكن هناك من رد على الجانب الذي أشار إليه فوكوياما. الانتقادات لنظرة فوكوياماتجادل بأن الليبرالية السياسية هي ما سينظم الحياة في مجتمع ما بعد الإنسانية، لأن البيولوجيا لم تكن العامل المحدد أو المحرك للحقوق السياسية والمدنية. الليبرالية لم توجد على أساس المساواة الفعلية بين البشر، بل بالمساواة في الحقوق وأمام القانون. كما أن الهندسة الوراثية قد تخفف من الفوارق بين البشر بدلاً من تفاقمها، فهي تتيح لكثيرين إمتيازات كانت في السابق حكراً على قلة. الليبرالية السياسية ليست في خطر بل هي من سيضمن حقوق الأفراد في مجتمع ما بعد الإنسانية لجوهرها القائم على تطبيق القانون على الجميع مهما كانوا أغنياء أو فقراء، جهلة أو متعلمين، أقوياء أو عاجزين، معززون بيولوجياً بفضل الأبحاث أو غير معززين. والجدل لا يزال مستمراً.

وفي مقالته الفضائل الاجتماعية وتحقيق الازدهار ، تشرح نظرية الاقتصادات التقليدية الحديثة 80% من الأحداث الاقتصادية، والباقي يعتمد على دور الدولة والتنظيم الاجتماعي للمجتمع. مالت البنية الفكرية والاجتماعية في غالب المجتمعات الغربية لتهميش المجالات

<sup>22</sup>- Ronald Bailey (2004".(Transhumanism: The Most Dangerous Idea".*Reason* .May 17 2015.

الاجتماعية والأنثروبولوجية للاقتصاد، ولكن الاقتصاد بحد ذاته لا يمكنه تفسير لماذا بعض المجتمعات أكثر ازدهاراً من غيرها. يقول فوكوياما أن البلدان المزدهرة تميل إلى أن تكون تلك التي يمكن أن تتم فيها العلاقات التجارية بين الناس بشكل غير رسمي ومرن على أساس الثقة، مثل ألمانيا واليابان والولايات المتحدة. في مجتمعات أخرى، مثل فرنسا وإيطاليا وكوريا، تخضع السندات الاجتماعية للعلاقات الأسرية وغيرها من وجوه الولائات المختلفة، وهو ما يخلق الجمود ويستفز الدولة للتدخل بما يثبط النمو الاقتصادي. الفكرة الرئيسية للكتاب هو الأداء الاقتصادي للمجتمعات متعلق بشكل كبير بوجود درجة عالية من الثقة في المجتمع المدني، في العلاقات الغير العائلية والغير الحكومية. جميع أشكال الجماعات الثقافية الاجتماعية التقليدية مثل القبائل والجمعيات القروية، والطوائف الدينية وما إلى ذلك، تقوم على أساس تقاليد مشتركة وتستخدم هذه المعايير لتحقيق غايات تعاونية. الأدبيات حول التنمية لم تعتبر هذه العلاقات مفيدة لرأس المال الاجتماعي.

القدرة الثقافية على تشكيل منظمات وشركات غير أسرية وغير حكومية هي المفتاح لتشكيل منظمات تجارية كبيرة، ناجحة وحديثة. في المجتمعات ذات الروابط الأسرية القوية أكثر من اللازم أو حيث كانت الكاثوليكية أو الشيعية قوية، يجد الأفراد صعوبة في تشكيل روابط إجتماعية يمكن أن تؤدي إلى علاقات فعالة على صعيد الاقتصاد الجزئي. المجتمعات ذات الثقة المنخفضة تقلل قدرة أعضائها على التضامن وتقلل من فعالية التعاون مع الغرباء. في الأجزاء الصينية من شرق آسيا والعديد من بلدان أميركا اللاتينية على سبيل المثال، رأس المال الاجتماعي يتواجد داخل دائرة ضيقة من الأسر، فتلك المجتمعات لا تثق بالغرباء من خارج دوائرهم الضيقة غالباً لأن الغرباء يصنفون ضمن فئة مختلفة عن الأقارب في ثقافة العمل وهو ما يؤدي إلى انخفاض مستوى السلوك الأخلاقي للمواطنين وتبرير المعايير المزودجة. في مثل هذه المجتمعات، يشعر الموظف العمومي أن من حقه السرقة أو الاختلاس طالما أنها تصرفات ستصب في مصلحة عائلته أو عشيرته، فحسن السيرة والسلوك محفوظ للعائلة والمعارف فقط<sup>(21)</sup>

تعاني المجتمعات التقليدية من عدم وجود أفراد على أطراف الشبكات الاجتماعية، أفراد قادرين على التنقل بين المجموعات المختلفة وبالتالي يصبحون حملة لأفكار ومعلومات جديدة. المجتمعات التقليدية غالباً ما تكون قطعية، أي أنها تتألف من عدد كبير من الوحدات الاجتماعية المتطابقة والقائمة بذاتها مثل القرويين أو القبائل. المجتمعات الحديثة على النقيض من ذلك،

<sup>23-</sup> Francis Fukuyama (1999). "Social Capital and Civil Society". *IMF* May 24 2015.

فهي تتألف من عدد كبير من الفئات الاجتماعية المتداخلة التي تسمح بعضويات وهويات متعددة ولذلك يكون تبادل المعلومات والابداع والابتكار أصعب وإستغلال الموارد البشرية أسوأ في المجتمعات التقليدية مقارنة بالحديثة لا يقترح فوكوياما بأن المنظمات أو الشركات العائلية غير منتجة فمن الواضح أنها ليست كذلك، ولكن نمو وتطور الشركات الأكبر حجماً لا يحدث في المجتمعات "العائلية" دون تدخل مكثف من جانب الدولة، وهو ما يعرقل قدرة القطاع الخاص على إيجاد شركات ضخمة وقوية وديناميكية مثل المجتمعات ذات الثقة العالية، فالملاحظ بشأن المجتمعات التقليدية أن الشركات الكبرى في الغالب ما تكون ضمن القطاع الحكومي مع كل ما يصاحب ذلك من لا فعالية وإنعدام في الكفاءة.

لافتقارها القدرة على إيجاد علاقات إجتماعية عفوية، تقع هذه المجتمعات فريسة عدم الكفاءة أو المحسوبية أو تكلفة العقود الرسمية وتدخل الدولة. عندما توجد الثقة بين العمال ورؤسائهم، وبين الموظفين ومدراءهم من خارج العائلة، وبين الموردين والمنتجين، تزدهر الترتيبات الغير الرسمية منخفضة التكلفة. من المصادر الأساسية لرأس المال الاجتماعي وجود مجتمع مدني، فوجود المجتمع المدني شرط ضروري للديمقراطية الليبرالية كما قال إرنست غيلنر: "بدون مجتمع مدني لا توجد ديمقراطية"

إن المصلحة الذاتية والعقود وأتعاب المحامين كلها مصادر مهمة للارتباط الاقتصادي، ولكن أكثر المنظمات فعالية هي تلك القائمة على مجتمعات تمتلك قيماً أخلاقية مشتركة. الديمقراطية الليبرالية تعني وجود مجال لحماية الحرية الفردية بتقييد الدولة عن التدخل، ولكن يجب على المجتمع أن يكون قادراً على تنظيم نفسه حتى لا يتحول النظام السياسي إلى أناركية. بغياب المجتمع المدني، تتدخل الدولة لتنظيم الأفراد الذين لا يستطيعون تنظيم أنفسهم والنتيجة غياب الحرية بتصرف الدولة كأب للمواطنين مسؤول عن تلبية كافة إحتياجاتهم. إنخفاض رأس المال الاجتماعي يؤدي إلى العديد من الاختلالات السياسية مثل ما حدث في فرنسا وإيطاليا حيث تشكلت أنظمة مركزية صارمة بشكل مفرط وغير قادرة على الاستجابة الشعبية، وهو ما جعلها أنظمة غير قابلة للتغيير والاصلاح إلا من خلال الثورات والانتفاضات الشعبية أو الاضرابات العامة بصورة أدق كما حدث خلال أحداث مايو 1968 في فرنسا.

إن فوكوياما قدم نظريته بشكل جيد لدرجة أن النقاد كانوا على إستعداد لتجاوز تعميمه للمجتمعات التي درسها بالتفصيل في كتابه وهي الولايات المتحدة واليابان وألمانيا ( مجتمعات ثقة

عالية)، وكوريا الجنوبية وفرنسا وإيطاليا والصين (مجتمعات ثقة منخفضة).<sup>(22)</sup> ويؤكد فوكوياما ويشدد أن كتابه لا يتبنى دعوة رومانسية للـ"عودة إلى الأيام الذهبية" ما قبل المجتمعات والتقاليد الرأسمالية، فالديمقراطية الليبرالية والرأسمالية يظلان الجوهر، والتنظيم والإطار السياسي والاقتصادي الوحيد للمجتمعات الحديثة.<sup>(23)</sup> الانتقاد يركز على الاستثنائات والشذوذ التاريخي، وهي تحديات للهيكل الأساسي للكتاب. ما افتقده فوكوياما وفقا لنقاد كان ربط جداله الرئيسي بحالات تاريخية سابقة من النهوض والصعود الاقتصادي، بما في ذلك الثورة الصناعية في أوروبا الغربية وبريطانيا والولايات المتحدة. التداير والاختبارات التي أجراها فوكوياما لقياس دور الثقافة والثقة المجتمعية في التنمية الاقتصادية شابتها المراوغة.<sup>(24)</sup> وصف فوكوياما لكوريا الجنوبية بأنها مجتمع "ثقة منخفضة" تلقى ردوداً مختلطة من علماء كوريين، لأن بعض الدراسات الكورية وجدت خصائص تدعم جدال فوكوياما وبعضها وجد أن مستوى الثقة المجتمعية لا يقل عن ذلك في اليابان والبيانات الاحصائية لا تدعم وضع كوريا الجنوبية في سلة واحدة مع أميركا اللاتينية كـ"مجتمع ثقة منخفضة".<sup>(25)</sup>

الأزمة الاقتصادية الآسيوية انتهكت جداله عن أقوى نماذج المجتمعات ذات الثقة العالية وفقا لنقاد ولكن في الحقيقة، الأزمة المالية عام 1997 كانت نتيجة ضغوطات من وول ستريت فالكوريون يسمونها بـ"أزمة صندوق النقد الدولي" ولم تكن أزمة اقتصادية أصيلة، يعتقد الكوريون أن صندوق النقد الدولي استغل أزمة السيولة لفرض أسواق رأس مال مفتوحة في كوريا لصالح غولدمان ساكس وسيتي غروب وغيرهم لأنه مهما ادعى صناع سياسة أميركيين أن نواياهم كانت صادقة، لا يمكن اغفال الضغط السياسي من جانب البنوك الأميركية الكبرى التي لديها مصلحة ذاتية مباشرة من التحرير المالي الآسيوي. في كل الأحوال، هذا الكتاب وبقا لفورين آفريز سيثري ويزيد من تعقيد الجدل السياسي حول التنمية الاقتصادية لأنه يتحدى كافة النظريات التقليدية الحديثة وغيرها من النظريات التي تركز على دور الدولة. هو صوت ونداء إلى المجتمع المدني للاضطلاع بدور أكبر في صياغة شروط الحياة السياسية والاقتصادية الحديثة.

<sup>24</sup> Peter Lindsay (2014). "Trust and the Bottom Line". *Jstor* . May 17 2015

<sup>24</sup> G. John Ikenberry (1996). "Trust: The Social Virtues and the Creation of Prosperity". *Foreign Affairs* . May 17 2015.

<sup>25</sup> You, Jong-sung (2003). "A Study of Social Trust in South Korea". *Harvard University* . May 28 2015.

وفي مؤلفه "الطبيعة البشرية وإعادة بناء النظام الاجتماعي" الذي صدر عام 1999، يجادل فيه أنه منذ الستينات وحتى التسعينات، معظم الدول الغربية شهدت خللا في نظامها الاجتماعي. يظهر هذا الخلل في ثلاث محاور:

زيادة معدلات الجريمة.

تراجع الثقة في الآخرين.

انهيار منظومة الأسرة نتيجة إرتفاع معدلات الطلاق.

على مدى نصف القرن الماضي، تحولت الولايات المتحدة وغيرها من البلدان المتقدمة اقتصاديا إلى ما يسمى "مجتمع المعلومات" أو عصر المعلومات، أو العصر ما بعد الصناعي. هذه المرحلة الانتقالية تسمى بـ"الموجة الثالثة"، يعني أنها ستكون في نهاية المطاف تتبع موجتي سابقة في التاريخ البشري: من البدائية إلى المجتمعات الزراعية ومنها إلى الصناعية. المجتمع المتمحور حول المعلومات يميل إلى إنتاج أكثر شيئين قيمة للناس في معظم الدول الديمقراطية الحديثة، وهي الحرية والمساواة. انفجرت حرية الاختيار في كل شيء من قنوات التلفزيون إلى مجتمعات التسوق منخفضة التكلفة والتقاء الأصدقاء على شبكة الإنترنت. الهرمية بجميع أنواعها السياسية والمؤسسية، أصبحت تحت ضغط متزايد وبدأت في التآكل.

إن الناس يربطون عصر المعلومات بظهور شبكة الإنترنت في التسعينات ولكن التحول من العصر الصناعي بدأ في وقت أقدم من ذلك، تميزت الفترة منذ ما يقرب من منتصف الستينات إلى التسعينات بتدهور خطير في الأوضاع الاجتماعية في معظم دول العالم الصناعي. بداية بالجريمة وتزايد الفوضى الاجتماعية بشكل جعل وسط المدينة في أغنى المجتمعات على الأرض غير صالح للسكن تقريبا. تراجع الأسرة كمؤسسة اجتماعية والتي ظلت مستمرة لأكثر من 200 سنة بشكل متسارع في النصف الثاني من القرن العشرين. تراجع الزيجات والولادات وارتفاع معدلات الطلاق. واحد من كل ثلاثة أطفال فيالولايات المتحدة وأكثر من نصف الأطفال في الدول الاسكندنافية ولدوا خارج إطار الزواج. وأخيرا انخفاض الثقة في المؤسسات الحكومية فبرغم أن الغالبية العظمى من المواطنين في الولايات المتحدة وأوروبا أعربوا عن ثقتهم في حكوماتهم ومواطنيهم في الخمسينيات، أقلية صغيرة بقت على موقفها بحلول التسعينات. برغم عدم وجود ما يثبت أن العلاقات الانسانية أصبحت أقل، إلا أنها لم تعد بذات الديمومة والمرونة وتقتصر على مجموعة أقل من الأصدقاء والمعارف. اليابان وبعض الدول ذات الأغلبية الكاثوليكية استمرت بالتمسك بالقيم العائلية التقليدية بشكل أوضح من الدول الاسكندنافية أو العالم الناطق باللغة الإنجليزية. وهو ما

وفر عليهم الكثير من التكاليف الاجتماعية السلبية. ولكن من الصعب تصور أنها ستكون قادرة على الصمود على مدى أجيال قادمة، ناهيك عن إعادة تأسيس أي شيء مثل الأسرة النوواة في العصر الصناعي.<sup>(26)</sup>

هذه التغييرات كانت دراماتيكية ووقعت على نطاق واسع في بلدان متشابهة؛ وكلها ظهرت في نفس الفترة من التاريخ تقريبا. هذه التغييرات أحدثت اضطراباً كبيراً في القيم الاجتماعية التي كانت سائدة في مجتمع العصر الصناعي خلال القرن العشرين. وبرغم الانتقادات الموجهة للمحافظين لتكيزهم على فرضية الانحطاط الأخلاقي،

يقول فوكوياما بأن المحافظين محقون مبدئياً. يشدد فوكوياما أن جداله ليس من الحنين إلى الماضي، ولا هو نتاج ضعف في الذاكرة، أو محاولة للتقليل من آثار الجهل والنفق الاجتماعي في العصور السابقة، بقدر ما هو تراجع إجتماعي حقيقي قابل للقياس بسهولة بالنظر إلى إحصائيات الجريمة، والأطفال الغير شرعيين واليتامى، وانخفاض فرص التعليم وتحقيق النتائج المرجوة منه وما شابه ذلك أشكال الاضطراب.

هذا الاضطراب يفسره فوكوياما بترادف إنتقال تلك المجتمعات من العصر الصناعي إلى عصر المعلومات، كثيرة هي الايجابيات التي يصدرها الاقتصاد القائم على المعلومات، ولكن هناك تأثيرات سيئة أيضا على الحياة الاجتماعية والأخلاقية. الطبيعة المتغيرة أدت إلى إستبدال عقلية العمل البدني ودفعت الملايين من النساء إلى أماكن العمل، الابتكارات في مجال التكنولوجيا الطبية مثل حبوب منع الحمل وزيادة طول العمر أدت إلى تراجع دور الأسرة، تنامي الثقافة الفردية يؤدي إلى الابتكار والنمو وهو ما امتد إلى المعايير الاجتماعية حيث تأكلت تقريبا جميع أشكال السلطة الاجتماعية، كل هذه العوامل المذكورة أنفاً ساهمت في هذا "الاختلال الاجتماعي"<sup>(27)</sup>

ولكن هناك جانب مشرق، فتعطل أو إختلال النظام الاجتماعي يعني العمل على تجديده. البشر بطبيعتهم حيوانات اجتماعية، وغرائزهم الأساسية تدفعهم إلى إنشاء قواعد أخلاقية متجددة تربطهم ببعضهم البعض كمجتمعات، فهم حيوانات عقلانية وهذه العقلانية تدفعهم إلى إيجاد سبل عفوية للتعاون مع بعضهم البعض. الدين برغم أنه قد يكون مفيداً في هذه العملية، لكنه ليس شرطاً أساسياً لا غنى عنه كما يروج المحافظون، ولا الدولة القوية والتوسعية ضرورية كما يعتقد بعض اليساريين. الحالة الطبيعية للإنسان ليست "كل رجل ضد رجل آخر"

<sup>26-</sup> Francis Fukuyama (1999). (The Great Disruption". *The Atlantic* May 17. 2015.

<sup>27-</sup> "Anthony Gottlieb". *New York Times* .May 19 2015

كما تصور توماس هوبز بل هي في مجتمع مدني منظم تحكمه قواعد أخلاقية.<sup>(28)</sup> حقيقة تؤكد لها الأبحاث الجديدة في علم وظائف الأعصاب، وعلم الوراثة السلوكي وعلم الأحياء التطوري، والأنثروبولوجي.<sup>(29)</sup>

إذا كانت التكنولوجيا تصعب من عملية الحفاظ على تقاليد مجتمعية قديمة للمجتمع، سيسعى الجنس البشري تلقائياً للخروج بمنظومة أعراف وتقاليد جديدة لتتناسب مع مصالحهم الأساسية. العديد من المناقشات حول مفهوم الثقافة تعامل النظام الاجتماعي كما لو كان مجموعة ثابتة من القواعد المتوارثة عن الأجيال السابقة. السياسة العامة محدودة نسبياً في قدرتها على التلاعب بالثقافة، فأفضل السياسات العامة هي تلك التي تتشكل عبر الوعي المجتمعي الواسع بقيوده الثقافية المعرّقة. الثقافة قوة ديناميكية متجددة باستمرار، إن لم يكن التجديد عن طريق الحكومات فهو عن طريق تفاعلات الآلاف من الأفراد الذين يشكلون المجتمع. على الرغم من أن الثقافة تميل إلى التطور ببطء مقارنة بالمؤسسات الاجتماعية والسياسية الرسمية، إلا أنها تتكيف مع الظروف المتغيرة. دراسة كيفية نشوء النظام الاجتماعي ليس نتيجة وجود وصاية سلطة هرمية من أعلى إلى أسفل سواء كانت سياسية أو دينية قدر ما هو نتيجة للتنظيم الذاتي من جانب الأفراد، يعد أحد أكثر التحولات الثقافية إثارة للاهتمام في العصر الحديث وفقاً لفوكوياما.<sup>(30)</sup>

مال فوكوياما إلى تعميم التاريخ بأسلوب هيغلي فوفقاً لنقاد، هو يميل إلى إعتبار كل تطور في فترة تاريخية متقاربة نتيجة لظاهرة واحدة.<sup>(31)</sup> إذا كانت اليابان وكوريا الجنوبية نجت من ما يسميه بالـ"خلل الاجتماعي" برغم أنها مرت بنفس التغيرات الاقتصادية التي يقول فوكوياما أنها تسببت بهذا "الخلل" في أمكنة أخرى، فهو يخلق معضلة غير مريحة للهيكل الأساسي لنظريته. يعترف فوكوياما في نهاية كتابه بأن هذا "الخلل الكبير" في طريقه نحو الزوال، بدلالة إنخفاض معدلات الجريمة والطلاق ومشاكل شرعية الأطفال منذ التسعينات، تزايدت معدلات الثقة والآثار السلبية للفردية تقترب من نهايتها وهو ما يطرح السؤال عن فائدة أول مئة صفحة من

<sup>28</sup> Francis Fukuyama (1999). "The Great Disruption". *The Atlantic* May 17, 2015.

الكتاب.<sup>(32)</sup> ومع ذلك، فإن الكتاب قيم لدارسي تقلبات النظام الاجتماعي وبرغم أن القضايا والحلول التي قدمها أميركية خالصة، من السهل رسم أوجه التشابه مع مجتمعات أخرى،<sup>(33)</sup> تواجه نفس المشاكل أو قد تواجهها في المستقبل.<sup>(34)</sup>

أما في كتاب أمريكا على مفترق طرق: الديمقراطية، السلطة، وميراث المحافظين الجدد والذي ويتمحور حول سياسة الولايات المتحدة الخارجية منذ أحداث 11 سبتمبر. يعد هذا الكتاب أحد أكثر كتب فوكوياما شخصنةً بسبب إرثه الشخصي كأحد المحافظين الجدد سابقاً.<sup>(35)</sup> شارك فوكوياما العديد من العاملين في إدارة الرئيس جورج دبليو بوش نظرتهم للعالم، عمل مع بول ولفويتس في أكثر من مناسبة وكان مسؤولاً عن توظيف فوكوياما في جامعة جون هوبكنز عندما كان عميداً فيها، عمل مع ألبرت ولستيتروم مثله تماماً كان محللاً لمؤسسة راند لعدة سنوات، كان فوكوياما تلميذاً لآلن بلوم الذي كان بدوره تلميذاً لليون شتراوس، فكان من السهل على فوكوياما أن يشعر بالراحة كما لو كان في منزله خلال أي مؤتمر أو ندوة يقيمها المحافظين الجدد ولكنه مع كل هذا، لم يشاركهم رؤيتهم حول حرب العراق.<sup>(36)</sup> عام 1998، اقترح فوكوياما على الرئيس بيل كلينتون تبني إجراءات أكثر حدة وصرامة إتجاه صدام حسين لعرقلة عمله مفتشي الأمم المتحدة، ولكن ورقة الحرب لم تكن موضوعة على الطاولة، وبعد أحداث 11 سبتمبر طُلب من فوكوياما أن يشارك في وضع إستراتيجية طويلة المدى للحرب على الإرهاب فقرر حينها أن الحرب ليست جواباً منطقياً<sup>(37)</sup>

وبحلول 2004 بدأ يتسائل ما إذا كان قد غير قناعاته بشكل يمنعه من أن يكون من المحافظين الجدد، أو أن مؤيدي غزو العراق أساءوا تطبيق المبادئ التي يؤمنون بها. في مقال له عام 2004 بمجلة "ناشيونال إنترست"، كتب فوكوياما أن المحافظة الجديدة تحولت إلى شيء لا يمكنه تأييده. بالنسبة لفوكوياما، استندت المحافظة الجديدة على مجموعة من المبادئ المتناسكة

<sup>29</sup>- "Anthony Gottlieb". *New York Times*. May 19 2015.

<sup>30</sup>- G. John Ikenberry (1999). (The Great Disruption: Human Nature and the Reconstitution of the Social Order". *Foreign Affairs*. May 19 2015.

<sup>31</sup>-Andrew Leigh (2000). (Review of Francis Fukuyama, "The Great Disruption: Human Nature and the Reconstitution of Social Order". *Australian Journal of Political Science*. May 19 2015.

<sup>32</sup>- Paul Berman (2006). (Neo No More". *New York Times* اطلع عليه بتاريخ May 18 2015.

<sup>33</sup>- Francis Fukuyama (2006). (America at the Crossroads". *Yale University Press*. May 18 2015.

<sup>34</sup>- Francis Fukuyama (2006). (America at the Crossroads". *Yale University Press*. May 18 2015.

خلال الحرب الباردة التي ولدت سياسات حكيمة سواء في الداخل الأمريكي أو الخارج. يمكن تفسير هذه المبادئ بعدة طرق، فخلال التسعينات كانت تستخدم لتبرير سياسة خارجية أميركية أكثر إستخداماً للقوة وهو ما أدى منطقياً لتبرير حرب العراق في نظر المحافظين الجدد. أصبحت المحافظة الجديدة مرتبطة بشكل لا رجعة فيه مع سياسات إدارة جورج دبليو بوش، وأي محاولة لإعادة تعريفها بشكل مخالف من المحتمل أن يكون غير مجدياً لذلك، هدف فوكوياما من الكتاب كان إعادة تعريف وتوجيه السياسة الخارجية الأميركية بطريقة تتجاوز إرث جورج دبليو بوش ومؤيديه من المحافظين الجدد.

وخلال الفترة الأولى من رئاسة جورج دبليو بوش، هوجمت الولايات المتحدة على أراضيها من قبل جماعة إسلامية متشددة تسمى بتنظيم القاعدة، وهو عمل إرهابي يعد الأكثر تدميراً في تاريخ أميركا.<sup>(38)</sup> ردت إدارة الرئيس بوش بأربعة إجراءات:

انشاء "وزارة الأمن الداخلي" (إنجليزية: Department of Homeland Security) وإصدار قانون باتريوت أكت وهو متعلق بتسهيل ومنح صلاحيات أكبر للأجهزة الأمنية الأميركية.<sup>(39)</sup>

غزو أفغانستان وخلع نظام الطالبان الذي وفر ملجأً لتنظيم القاعدة. تبني سلسلة سياسات وإجراءات وقائية بنقل الحرب إلى بلاد العدو عوضاً عن إجراءات الردع والاحتواء التي سادت خلال الحرب الباردة. فحتى رئاسة رونالد ريغان، الواقعية الكلاسيكية كانت تشدد على الحفاظ على المصالح القومية باحتواء الأنظمة الشيوعية القائمة ومنع قيام أنظمة جديدة وليس التدخل في شؤون الدول الأخرى.

غزو العراق وخلع نظام صدام حسين على أساس إمتلاكه أو تخطيطه لإمتلاك أسلحة دمار

شامل

المبادرتين الأولى، كانت ردوداً حتمية لأحداث 11 سبتمبر، وحصلت تأييد الأغلبية الساحقة من السياسيين والشعب الأمريكي. المبادرتين الثانية، لم تكن ردوداً واضحة لأحداث 11 سبتمبر. ما جعلها مثيرة للجدل، كان التركيز لحد الهوس تقريبا على تغيير النظام في العراق وتأكيد الاستثنائية الأميركية التي أعطت واشنطن ليس فقط الحق، بل واجب رعاية هذه المسألة.

وينتقد فوكوياما جذور وفروع سياسة بوش الخارجية. ويرى أن صعود المحافظين الجدد استجابة مفرطة لهزيمة الاتحاد السوفيتي، بالاعتقاد أن مثل هذا الحدث الذي أدى إلى

<sup>35-</sup> Francis Fukuyama (2006). ("America at the Crossroads". Yale University Press .May 18 2015.

تغيير أنظمة أوروبا الشرقية بالجملة، يمكن أن يحدث في أماكن أخرى. رافق ذلك اعتقاد مبالغ فيه عن فعالية العمل العسكري خصوصاً مع فكرة أن الخسائر الأمريكية في حقبة الأسلحة ذات التقنية العالية يمكن أن تبقى في أدنى حد ممكن، كما كانت في حرب الخليج الأولى وكوسوفو. يشرح فوكوياما كيف فشلت إدارة الرئيس بوش في توقع ردود فعل بقية العالم عقب غزو العراق. يعتقد فوكوياما أنه لن يكون من السهل على الولايات المتحدة إستعادة الأرض التي فقدتها، فقد تغيرت المواقف الأوروبية بشكل دائم، في حين أن أمريكا اللاتينية انحرفت إلى اليسار بشكل كبير، جزئياً كرد فعل على الولايات المتحدة. وفي الوقت نفسه، هاجس الأحداث في الشرق الأوسط، شغل الأميركيين بعيداً عن الشؤون الآسيوية، وهي ستشكل تحديات إستراتيجية أكبر على المدى البعيد.<sup>(40)</sup> أن هدف هذا الكتاب تسليط الضوء على إرث المحافظين الجدد، أخطاء الرئيس بوش، وتحديد وسيلة بديلة للولايات المتحدة لربطها بقية العالم. يقدم فوكوياما نموذجاً غير معروف في أي من مدارس السياسة الخارجية الأميركية ويسمها بالـ"واقعية الويلسونية" نسبة لودرو ويلسن، الرئيس الثامن والعشرين للولايات المتحدة. الواقعية الويلسونية تختلف عن الواقعية الكلاسيكية من خلال أخذ ما يدور داخل الدول المتهدفة بالاعتبار عوضاً عن التركيز عما تنتجه أو تصدره للخارج. القول بأن بناء الدولة والانتقال الديمقراطي عمليات صعبة لا يعني أنها مستحيلة، الدول الضعيفة والفاشلة هي أكبر مصادر التهديد في العالم اليوم، ولا يمكن للقوة العظمى الوحيدة في العالم أن تتجاهلها لأسباب متعلقة بالأمن والأخلاقيات، ولكن الواقعيين الكلاسيكيين والمحافظين الجدد لا يبدون اهتماماً كبيراً بقضية التنمية داخل تلك الدول والمجتمعات، حيث التطور المؤسسي والسياسي والاقتصادي مشكلة حقيقية.

الواقعية الكلاسيكية تقول أن طبيعة النظام سواء كان ديمقراطياً ليبرالياً أو إستبدادي ليس ذي أهمية كبيرة للأمن القومي الأميركي، وإن كانت الولايات المتحدة تفضل إزدياد عدد الديمقراطيات الليبرالية في العالم لأن الديمقراطيات الليبرالية لا تدخل في حروب ضد بعضها البعض وتسهل عمل الأميركيين كثيراً مع شركاء أجنب، ولكن الواقعية الكلاسيكية تقترح اللعب بالأوراق المطروحة على الطاولة، ويعدهنزي كيسنجر أبرز هؤلاء "الواقعيين". المحافظين الجدد وفوكوياما والليبراليين يعارضون هذا التوجه وإن اختلفت الأساليب. المحافظون الجدد لم يكونوا

<sup>36</sup>- Louis Menand (2006). "Breaking Away". *The New Yorker* May 28 2015

سعداء بالواقعية الكلاسيكية وأيدوا رونالد ريغان عندما قام بالتدخل في نيكاراغوا لأنهم يؤمنون باستخدام القوة لغايات أخلاقية. ليبراليوا الحرب الباردة كانوا مؤمنين بالقوة الأميركية لاحتواء التوسع السوفييتي - دون تغيير الأنظمة - ولذلك علقت الولايات المتحدة فيفيتنام.

إن الفرق بين الليبراليين والمحافظين الجدد هو أن المحافظين لا يؤمنون بالهندسة الاجتماعية ويرون فيها أوجه تشابه مع الشيوعية ولديهم شكوك حول فعالية القانون الدولي والأمم المتحدة التي يعتبرونها تمثيلية ليبرالية عن التعاون والسلام الدولي، فهناك دول جيدة وسيئة ولا منطوق في معاملة كل الدول باحترام لأنه يخلق مشكلة أخلاقية، مثل ترأس ليبيا معمر القذافي لجنة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان عام 2003. عندما تفكك الاتحاد السوفييتي، أثبت العديد من المحافظين الجدد أن "الواقعيين" كانوا على خطأ، فأصبح "تحرير المجتمعات" هدفاً مشروعاً وممكناً في السياسة الخارجية الأميركية وبعد أحداث 11 سبتمبر، أصبحت وجهة التحرير القادمة واضحة.

تختلف الواقعية الويلسونية عن المحافظين الجدد و"القومية الجاكسونية" نسبة للرئيس السابع للولايات المتحدة أندرو جاكسون، فالواقعية الويلسونية تأخذ المؤسسات الدولية على محمل الجد. لا يريد فوكوياما إستبدال السيادة القومية بمنظمات دولية غير خاضعة للمساءلة مثل الأمم المتحدة لأنها ليست ولن تصبح أبداً فعالة وشرعية كمقر للحكم العالمي. ولكن العالم يفتقر لآليات المسائلة بين الدول، تناسب التداخل الاجتماعي والاقتصادي المكثف الذي يسمى بالعوامة. تحتفظ الدولة القومية بميزة لا يمكن إستبدالها بأي جهة دولية عابرة للقوميات، لأنها المصدر الوحيد لسيادة القانون. ولكن هذه الدولة لن تكون فعالة بدون شرعية مستدامة تتطلب طابعاً مؤسسياً أعلى بكثير مما هو موجود حالياً. عالم متعدد المؤسسات من شأنه تلبية هذه الاحتياجات بصورة تدريجية، ولكن العالم لم يصل إلى هذه المرحلة بعد، ولا توجد مدرسة من مدارس السياسة الخارجية الحالية يمكن لها أن تقدم إرشادات كافية وترسم طريقاً واضحة للوصول بالعالم إلى تلك النقطة.

إن الواقعية الويلسونية هي طريقة أو وسيلة مختلفة للولايات المتحدة لترتبط ببقية العالم، طريقة ليست مستوحاة من قومية أندرو جاكسون ولا المحافظين الجدد ولا الليبراليين العالميين، طريقة أكثر واقعية للولايات المتحدة لتعزيز التنمية السياسية والاقتصادية للدول الفاشلة أو الضعيفة دون شن حروب وقائية وتفتح الأبواب أمام مؤسسات دولية متعددة مناسبة لواقع

العالم الحقيقي المتمثل بالعملة.<sup>(41)</sup> ويلسونية لأن فوكوياما جادل بضرورة الحفاظ على روح الليبرالية العالمية ولكنها واقعية في نفس الوقت، "لنستمر في تشكيل العالم ولكن لا ينبغي لنا أن نكون أغبياء حيال ذلك" هي الفكرة المبدئية.<sup>(42)</sup> هذا الكتاب يعد من أهم الكتب حول السياسة الخارجية للولايات المتحدة وعن المحافظين الجدد كذلك، لأنه يوفر أحد أفضل التاريخيات الموجودة حالياً عن هذه الحركة. فرانسيس فوكوياما أثبت أنه أقدر من يستطيع رسم الخطوط الأساسية لقطب جديد في الخطاب السياسي الأميركي<sup>(43)</sup>

وكتابه أصول النظام السياسي، يشرح فوكوياما جذور المؤسسات السياسية من عصور ما قبل التاريخ وحتى الثورة الفرنسية وهو الجزء الأول من كتاب آخر صدر عام 2014 بعنوان النظام السياسي والاضمحلال، والذي استمر فيه بتحليل المؤسسات السياسية منذ الثورة الفرنسية وحتى الوقت الحالي. كان كتاب صامويل هنتجتون النظام السياسي في المجتمعات المتغيرة الصادر عام 1968 الإلهام خلف كتاب فوكوياما.<sup>(44)</sup> يقول فرانسيس بأن أطروحة هنتجتون تعد أحد الجهود الأخيرة في مجال التنمية السياسية وقد كلف طلابه بدراستها في كثير من الأحيان.<sup>(45)</sup> فقد أسست أطروحة هنتجتون الأفكار الأساسية للسياسة المقارنة بما في ذلك نظرية الاضمحلال، ومفهوم التحديث السلطوي، وحقيقة أن التنمية السياسية مجال منفصل عن غيره من جوانب التحديث. صدر كتاب صامويل هنتجتون عام 1968 أي بعد عقد أو اثنين تقريباً من بدء موجة التحرر من الاستعمار الأوروبي بعد الحرب العالمية الثانية، والكثير من استنتاجاته عكست إضطرابات تلك الفترة بكل ما فيها من حروب أهلية وإنقلابات. ولكن بعد سنوات، شهد العالم تغيرات هامة ومفصلية مثل النهضة الاقتصادية في شرق آسيا، انهيار الشيوعية، تسارع وتيرة العملة، وما سماه هنتجتون نفسه بالموجة الثالثة من عملية الديمقراطية حول العالم وهي الديمقراطية الليبرالية كنموذج حكم مقبول من كافة أطراف الساحة السياسية في أي بلد.

<sup>37-</sup> Louis Menand (2006".(Breaking Away". *The New Yorker* May 28 2015

<sup>38-</sup> Walter Russell Mead (2006".(America at the Crossroads: Democracy, Power, and the Neoconservative Legacy". *Foreign Affairs* .May 20 2015.

<sup>39-</sup> G. John Ikenberry (2011".(The Origins of Political Order: From Prehuman Times to the French Revolution". *Foreign Affairs* May 28 2015.

<sup>40-</sup> Francis Fukuyama . *The Origins of political order : from prehuman times to the French revolution* . Farrar, Straus and Giroux . ^p.13 ISBN

<sup>40-</sup> ^ Francis Fukuyama (2013".(The Origins of Political Order". *MISTRA* .May 19 2015.

ولكن النظام لا يزال هدفاً صعب المنال في كثير من المناطق، فشعر فوكوياما بضرورة العودة إلى كتاب هنتغتون حول "النظام السياسي في المجتمعات المتغيرة" والتوسع فيه ومحاولة تطبيق أفكاره الأساسية في عالم اليوم.<sup>(46)</sup> يرى فوكوياما بأن صامويل هنتغتون ناقش قضية التحديث السياسي في الدول النامية ولكنه لم يأخذ المرحلة المتقدمة للتاريخ البشري بعين الاعتبار، فكثير من الدول النامية التي تعاني منالتخلف السياسي يوجد بها أحزاب سياسية، هيكل للدولة، جيش، ومنظمات. لم يشرح هنتغتون من أين يأتي النظام في المقام الأول بالنسبة لمجتمعات متخلفة كثير منها قديم بالفعل، الدول ليست حبيسة ماضيها ولكن الكثير من الأحداث التي وقعت قبل مئات وربما آلاف السنين لا تزال تؤثر على طبيعة ثقافتها السياسية. فإن كان ولا بد من دراسة وفهم عمل المؤسسات السياسية الحديثة، يجب دراسة أصولها والظروف التي ساعدت على تشكيلها<sup>(47)</sup> يقول فوكوياما «سأتحدث عن أصول المؤسسات السياسية، من أين تأتي بالضبط. هذه هي القضية المركزية في عملية التنمية، لأنه إذا لم نفهم السياسة جيداً، ولا أقصد مجرد القرارات السياسية على المدى القصير، ولكن المؤسسات الفعلية التي تنظم المجتمعات، لن يكون هناك نمو اقتصادي، ولا تطور اجتماعي وبالتالي لن يوجد مجتمع عادل

يناقش فوكوياما الأسباب التي جعلت الكثير من الدول حيث قامت ثورات أو إنقلابات أو أي نوع من الاضطرابات المصاحبة لتغيير النظام السياسي، تقف في "منطقة رمادية" فلا هي بالسلطوية ولا بالديمقراطية. قادتها "منتخبون" ولكنهم مشغولون بشراء وسائل الإعلام أو إغلاقها، التضيق على المعارضة، التلاعب بالانتخابات، والاستيلاء على مؤسسات الدولة وشخصنة شروط الحياة السياسية. وهو ما خلق قلقاً إزاء قدرتها على تقديم الخدمات الأساسية التي يتوقعها المواطنون عادة من حكوماتهم، لأن الفشل في تطبيق وعود أي نظام سياسي هي أكبر تحدياته الوجودية قبل أي شيء آخر الديمقراطية الليبرالية يقول فرانسيس، ليست مجرد صندوق إقتراع بل حزمة معقدة من المؤسسات التي تقيد

<sup>41-</sup> Francis Fukuyama . *The Origins of political order : from prehuman times to the French revolution* . Farrar, Straus and Giroux.p.24 ISBN

<sup>42-</sup> Francis Fukuyama . *The Origins of political order : from prehuman*

وتنظم السلطة بالقانون وبنظام من التوازنات والضوابط. هذه الاضطرابات مشاهدة في الشرق الأوسط وأميركا اللاتينية وأجزاء من أوروبا الشرقية وجنوب شرق آسيا وآسيا الوسطى والجزر الصغيرة في المحيط الهادي.

مثل ما حدث في أوكرانيا عقب الثورة البرتغالية عام 2004 التي اندلعت ضد فساد رئيس الوزراء فيكتور يانكوفيتش وتلاعبه بنتائج الانتخابات، وهو ما أدى إلى صعود فيكتور يوشتشينكو خلفاً له. ولكن تحالف البرتغاليين أثبت أنه غير مسؤول وخيب آمال مؤيديه فكانت النتيجة إعادة إنتخاب يانكوفيتش مجدداً عام 2010.<sup>(48)</sup> أميركا اللاتينية لديها أكبر نسب من عدم المساواة الاقتصادية في العالم وغالباً ما يأخذ التفاوت الطبقي أشكالاً إثنية، فصعود شعوبين مثل هوغو تشافيز وإيفو مورالس ما هو إلا عرض من أعراض عدم المساواة التي يشعر بها كثير من المواطنين إسمياً في القارة اللاتينية، سواء في الأوضاع أو الفرص المتاحة.<sup>(49)</sup> تفاوت المداخل أمر طبيعي شريطة إدراك الناس أن الفرصة متاحة لهم ولأبنائهم لتحسين ظروفهم الاقتصادية وضرورة التحقق الدائم من شرعية الوسائل التي جمع بها الأثرياء ثروتهم، هكذا يفكر الأميركيون العاديون على الأقل

إن دولة ديمقراطية ناجحة منذ تأسيس الدولة القومية عام 1947، وهو نجاح ماهر نظراً لتنوعها الديني والإثني وحجم مساحتها الجغرافية. مع ذلك، الديمقراطية الهندية تعاني من اختلالات جوهرية مثل حقيقة أن ثلث المشرعين الهنود تحت شكل من أشكال الاتهام الجنائي وبعضهم لجرائم خطيرة مثل القتل والاعتصاب. ذلك لأن السياسيين الهنود يمارسون سياسات زبائنية، حيث يحصلون على الأصوات الانتخابية مقابل خدمات ومنافع مباشرة للناخبين أو ممثليهم الاجتماعيين ودائماً ما تتم مقارنة سياسات الفساد الهندية بالعملية والفعالية الصينية، فالصينيين ليسوا ملزمين بسيادة قانون أو مساءلة للحكومة ما أرادوا بناء سد جديد أو تجريف حي سكني بأكمله لبناء مشروع إستثماري، تمهيد طريق أو بناء مطار.<sup>(50)</sup> هذه كلها تحديات

<sup>43-</sup> Francis Fukuyama . *The Origins of political order : from prehuman times to the French revolution* . Farrar, Straus and Giroux.p.26 ISBN

للديمقراطية وتؤكد حقيقة أن المؤسسات السياسية تتطور بشكل بطيء ومؤلم أحياناً حتى تتعلم المجتمعات التغلب على بيئتها

هذا الكتاب في جزء كبير منه وإن كان توسعة لأفكار صامويل هنتغتون عن التنمية السياسية وضرورة إعتبارها مجالاً رئيسياً وليست مجرد ظاهرة ثانوية للهياكل الاقتصادية، هو تكملة لكتاب نهاية التاريخ والإنسان الأخير. يقول فوكوياما أن الخلل ليس في مفهوم الديمقراطية نفسه، فعدد قليل من الناس حول العالم معجب بالـ"قومية البترولية" لفلاديمير بوتين، اشتراكية هوغو تشافيز، إسلامية النظام في إيران، أو الرأسمالية التسلطية في الصين التي ليس من السهل توصيفها أو محاكاتها. فكل هذه النماذج وغيرها كثير، حريصة على تبني مظاهر ديمقراطية سطحية مثل الانتخابات الصورية والتلاعب بالاعلام لشرعنة أنظمتها أمام مواطنيها. فهذه هي قوة الديمقراطية الليبرالية، تجبر السلطويين على مجاملتها بالتظاهر أنهم ديمقراطيون.

معظم الناس تفضل العيش في مجتمعات ديمقراطية حيث يمكنهم مساءلة حكومة فعالة تقدم الخدمات التي يطالبون بها في وقت قياسي ومنخفض التكلفة. إذن المشكلة في ضعف وفساد المؤسسات السياسية وافتقارها للقدرات والكفاءة احتجاجات الربيع العربي التي نادت بتغيير الأنظمة وإستبدالها بديمقراطيات متجاوبة لم يكن لها لتنجح دون إدراك المحتجين أن أمامهم طريقاً طويلاً وشاقاً لبناء مؤسسات سياسية تستطيع توفير الديمقراطية والحفاظ عليها، فالنظام السياسي لا يتشكل تلقائياً فور إسقاط أشكال الحكم الغير مرغوبة. إعتبار المؤسسات السياسية من المسلمات أمر شائع ولم يتحدث عن ضرورة تحديثها سوى قلة من علماء السياسة، بل إن العديد من المنظرين السياسيين سواء في اليسار أو اليمين، روادتهم العديد من الأوهام بانتهاء السياسة كلياً.

كارل ماركس تنبأ بـ"أقول الدولة" فور نجاح ثورة البروليتاريا في إلغاء الملكية الخاصة. اليساريين الأناركيين أو الثوريين منذ القرن التاسع عشر وهم يروجون لتدمير هياكل السلطة القديمة دون تفكير جدي عن البديل الذي سيأخذ مكانها. بالتأكيد، الأنظمة الشيوعية الحقيقية فعلت عكس ما تنبأ به ماركس تماماً، فقد بنو هياكل دول إستبدادية كبيرة قادرة على إجبار الناس التصرف بشكل جماعي ما فشلوا في تحقيق ذلك من تلقاء أنفسهم. أوهام إلغاء السياسة والسيادة أكثر وضوحاً في اليمين، حيث يعتقد بعض هؤلاء أن اقتصاد السوق سيقبل من لزمة الحكومات أو يجعلها غير ذي صلة بالمرءة الاقتصاد الرأسمالي العالمي يلغي سيادة الحكومات الديمقراطية ويستبدلها بسيادة السوق، إذا صوت مجلس تشريعي

لصالح فرض قيود مشددة على التجارة، سيعاقب ويُجبر على تبني سياسات يعتبرها اقتصاد السوق العالمي عقلانية أحلام اليمين التقليدية بالغاء الدولة أو تقليصها إلى أقصى درجة ممكنة غالباً ما تجد لها أنصاراً متعاطفين في الولايات المتحدة مثل الليبراليين الذين جادلوا بضرورة التخلص من مجلس المحافظين للنظام الاحتياطي الفيدرالي وإدارة الغذاء والدواء وحتووكالة الاستخبارات المركزية.

يقول فوكوياما أن الجدل حول حجم الحكومات الحديثة مشروع، فقد نمت بشكل كبير يحد من النمو الاقتصادي والحرية الفردية. من حق الناس أن يشتكوا من البيروقراطية الغير متفاعلة، فساد السياسيين، وطبيعة السياسة التي أصبحت بلا مبادئ بشكل متزايد، كل هذه جدالات مشروعة ولكنه دليل على اعتبار مؤسسات الدولة من المسلمات في الغرب،

وشاهد على عدم إدراك كيفية وجودها بالشكل التي هي عليه حالياً. لا يدرك هؤلاء أن أحلامهم بتقليص الدولة ممارسة فعلياً في مناطق كثيرة من الشرق الأوسط وأفريقيا، من الصومال إلى ليبيا واليمن ودول أفريقيا جنوب الصحراء، حيث لا تستطيع الدول جمع أكثر من 10% من عوائد الضرائب في الناتج المحلي الإجمالي. عوضاً عن "إطلاق روح المبادرة"، هذا المعدل المنخفض من الضرائب يعني أن الخدمات الأساسية مثل الصحة والتعليم إلى مجرد ملء الحفر في الطرقات بحاجة ماسة إلى التمويل، البنية الأساسية للاقتصاد الحديث مثل الطرق وأنظمة المحاكم والشرطة في عداد المفقودين.

إن المؤسسات السياسية ضرورية وليست أمراً مفروغاً منه. اقتصاد السوق والمستويات العالية من الثروة لا تظهر بطريقة سحرية لأنها تستند على أساس مؤسسي خفي مبني على حقوق الملكية، سيادة القانون، ونظام سياسي. السوق الحرة والمجتمع المدني القوي، كلها عناصر هامة لديمقراطية تعمل، ولكن لا شيء يمكن أن يحل محل وظائف الحكومة الهرمية القوية. يتزايد اعتراف الاقتصاديين سنة تلو الأخرى أن مشكلة الدول الفقيرة ليس في افتقارهم إلى الموارد، بل في فقرهم إلى مؤسسات سياسية فعالة. لذلك، هذا الكتاب يوفر فهماً أفضل حول أصل هذه المؤسسات وكيفية الانتقال من الصومال إلى الدنمارك.